إ.ليفي بروفنسال وتحقيق تراث المغرب الإسلامي: "مفاخر البربر نموذجا".

أة. نوال بلمداني*

مقدمة: أصبح الإستشراق والمستشرقون من المواضيع الهامة التي تحتاج إلى الدراسة والمراقبة لأن كتابات هؤلاء لا تخلو من التدسيس والتحريف، بحسب ما يقومون به من تحقيق علمي، أو اكتشاف تاريخي، ذلك أن العمل الإستشراقي لم يقم على النوايا المخلصة الطيبة ولكن أصبح مزيجا من الحق والباطل، وعلى ما يبدو أن الأسباب الكامنة وراء ذلك كثيرة، والدوافع متعددة نفسية وتاريخية واقتصادية ايديولوجية ودينية، وأخيرا علمية[1]، لكن السبب الرئيسي يعود لحركة الإصلاح الديني التي عرفتها أروبا، والتي جعلت المسيحيين يشعرون بضرورة إعادة النظر في شروح كتبهم الدينية؛ ومن هنا إتجهوا إلى الدراسات العربية الإسلامية من أجل فهم هذه الشروح على أساس التطورات الجديدة، كما أنّ رغبة المسيحيين في التبشير بدينهم بين المسلمين جعلهم يقبلون على الإستشراق ليتسنى لهم تجهيز المبشرين، وإرسالهم إلى العالم الإسلامي، ولذلك قام هذا العمل في أول أمره على أكتاف هؤلاء-المبشرين- إلى جانب الرهبان.

ولإنجاح هذه الفكرة وتحقيق الأهداف المرسومة كان لابد عليهم من دراسة كل ما يتعلق بالشرق من لغات وآداب ومعتقدات وعلوم وفنون وما شاكلها، ويجب" أن يكون صاحبه عالما متخصصا غربيا أصلا وانتماءا"[2]، و مما لا شك فيه أنّ المستشرقين قد لعبوا دورا كبيرا في إحياء عدد هام من كتب التراث الإسلامي، وبالتالي حفظوها من الضياع، وبذلك وفروا للمهتمين بدراسة هذه الكتب المادة الأولية التي تسمح لهم بإنجاز بحوثهم ودراساتهم، ومن بين هذه الشخصيات التي لعبت دورا هاما في عددا كبيرا من المصادر التاريخية و الأدبية الهامة المتعلقة بهذا الجزء من العالم الإسلامي، المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال.

التعريف بشخصية إ.ليفي بروفنسال: ولد إيفاريست ليفي بروفنسال بالجزائر العاصمة سنة **1894**م من أسرة يهودية[4]، وتلقى تعليمه الثانوي بقسنطينة، ثم عاد إلى مسقط رأسه

*- أستاذة مساعدة أ في تاريخ المغرب الإسلامي- قسم العلوم الإنسانية- شعبة التاريخ- جامعة معسكر.

والتحق بكلية الآداب التي تعرّف فيها على الأستاذ "جيروم كركوبينو" الشهير بأبحاثه في التاريخ الروماني، وحبّب إليه علم التاريخ ودراسة الآثار والنقوش، والأستاذ "روني باصي" الذي شجعه على التعمق في دراسة اللغة العربية، والاعتناء بالبيبلوغرافية العربية وبخاصة المخطوطات، نال الإجازة عام 1913م[5]، وفي سنة 1919م انتدبه الماريشال ليوطي للعمل في معهد الدراسات العليا المراكشية في الرباط، وعين أستاذا فيه سنة 1920م، ثم مديرا له فيما بين 1925-1935م، وفي تلك الأثناء راح يعد للحصول على دكتوراه الدولة، فانتهى منهما وحصل على الدكتوراه في 1922م وعنوانهما:

1- "مؤرخو الشرفاء": وهو بحث في كتب التاريخ والسّير في مراكش من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر.

2-نصوص عربية من ورغة: لهجة جبالا في شمال مراكش، لكن اهتمامه بمراكش ولهجتها ما لبث أن اتسع حتى شمل إسبانيا الإسلامية، لأنه أدرك أنه لا يمكن الفصل بين تاريخ المغرب وتاريخ المسلمين في إسبانيا[6].

وفي سنة 1923م وجهته وزارة التعليم الفرنسية إلى الإسكوريال ليضع قائمة ما بها من مخطوطات، والتي يعود معظمها إلى خزانة السلطان زيدان السعدي التي استولى عليها الإسبان في عرض البحر، فالتقى بالعديد من المستشرقين الإسبان، وتعرف على ما نشروه من دراسات، وكذا العثور على مخطوطات قيّمة تتعلق بتاريخ العدوتين الأدبي والاجتماعي، إضافة إلى مشاهدة ما تزخر به بلاد الأندلس من آثار الحضارة الإسلامية ومعالم عمرانية، وهذا ما دفعه إلى زيارة البلاد عدة مرات، والتجول في مختلف مناطقها، ومواصلة البحث والتنقيب عن محتويات خزائنها[8].

في سنة 1927م انتدبته كلية الآداب الجزائرية أستاذا لتدريس تاريخ العرب والحضارة الإسلامية، وفي سنة 1935م استعفي من مهمة إدارة معهد الرباط، وفي سنة 1938م دعته جامعة القاهرة أستاذا زائرا، كما عينته إدارة الجامعة في اللجنة المكلفة بتحقيق كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام الشنتريني[9]، وأشرف عدّة سنوات على الطبعة الفرنسية لدائرة المعارف الإسلامية، وأنشأ سنة 1954م مجلة "أربيكا" للدراسات العربية، التي أصبحت أهم مجلة فرنسية متخصصة في الآداب العربية والعلوم الإسلامية[10]، ونشر فيها نصوصا من

كتاب"المقتبس" لابن حيان، كما عين في عضوية جمعيات عديدة منها المجمع الإسباني، والجمعية الملكية الآسيوية البريطانية.

لقد اهتم ليفي بروفنسال بالتراث الأدبي والتاريخي لبلاد المغرب الإسلامي، موجها عنايته إلى تاريخ الأندلس في إسبانيا، فحركية هذا المستشرق المستمرة في مجال نشر وتحقيق المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية لهذا الجزء الهام من العالم الإسلامي، إضافة إلى ما ألّفه من كتب ودراسات، ما هو إلاّ دليل على مدى الجهد الذي قام به في سبيل إخراج المصادر التاريخية الهامة إلى الوجود[11]، وكانت وفاته سنة 1956م[12].

ويعد مؤلفنا من المستشرقين اليهود الذين فضلوا الانتساب إلى الاستشراق الأوروبي على أن يُوصفوا على أنهم مستشرقين يهود، حتى لا يقل تأثيرهم[13]، لذا يعرف على أنه مستشرق فرنسي، كما سار على الخطى التي رسمها الإستشراق لتحقيق أهدافه، من خلال الكتاب والمقال في المجلات العلمية وكرسي التدريس في الجامعة، والمناقشة في المؤتمرات العلمية العامة، فشغل ليفي بروفنسال منصب أستاذ للدراسات العربية في كلية الآداب بجامعة باريس[14]، خاصة وأن فرنسا كانت مهتمة اهتماما كبيرا بالدراسات الاستشراقية الاستعرابية، فأقامت مؤسسات مختلفة داخل أراضيها وخارجها خدمة للمصالح التي تجنيها منها في مختلف المجالات، وبخاصة الاستعماري، والجامعات حوت معاهد خاصة للدراسات الإسلامية والعربية تقوم بالتدريس الجامعي وتعليم اللغة العربية وتخريج الدارسين ممن سيواصلون أعمالهم في المجال الاستشراقي[15].

كما اهتم صاحب "مؤرخو الشرفاء" كغيره من المستشرقين بجمع المخطوطات العربية من كل مكان في بلاد الشرق الإسلامي، وكان العمل مبنيا على وعي تام بقيمة هذه المخطوطات التي تحمل تراثا غنيا في شتى مجالات العلوم، بالإضافة إلى عملية التحقيق والنشر[16]، وقد برز صاحب هذه الدراسة في ذلك.

آثار ليفي بروفنسال في مجال التأليف والنشر والتحقيق:

- مؤرخو الشرفاء: نشره في باريس سنة 1922م.
- تاريخ المسلمين في إسبانيا: تأليف دوزي، ثم أعاد ليفي بروفنسال نشره عام 1932م.
- إسبانيا المسلمة في القرن العاشر الميلادي: القاهرة 1938م.
- الحضارة العربية في إسبانيا: القاهرة 1938م.

- تاريخ إسبانيا الإسلامية:ج1، القاهرة، 1944م- ج2، باريس، 1950م، ج3، باريس، 1948.

- خلافة قرطبة: المؤسسات والحياة الاجتماعية والدينية والثقافية، مدريد، 1950م.

- محاضرات عن إسبانيا الإسلامية ألقاها في كلية الآداب في سنتي 1947-1945م القاهرة.

- الإسلام في المغرب والأندلس: دراسات في العصر الوسيط، باريس، 1948.

- سياسة عبد الرحمان الإفريقية، مجلة الأندلس، ج9، 1946م.

- "المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا الحسن" لابن مرزوق الخطيب، نشر في باريس عام 1925م.

- الجامع الصحيح لأبي عبد الله البخاري، نشر بمطبعة قوثر1927م.

- آداب الحسبة لأبي عبد الله محمد السقطي المالقي بمساعدة كولان، نشر في باريس سنة 1931م.

- نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى- من كتاب مفاخر البربر لمجهول-، نشر بالرباط سنة 1934م.

- القسم الأخير من كتاب "صلة الصلة" لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، والتي ذيّل بها على كتاب "الصلة" لابن بشكوال، وأضاف لها مجموعة ضخمة من تراجم الأندلس والوافدين عليها من الغرباء، نشر بالرباط سنة1938م[17].

- صفة جزيرة الأندلس في العصور الوسطى- من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار- لابن عبد المنعم الحميري[18]، ونشر بمكتبة ليدن عام1939م.

- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا لصاحبه علي بن عبد الله النباهي المالقي، ومن بين مضامينه تراجم لقضاة من الأندلس وبلاد المغرب وغيرها، نشر سنة 1948م في دار الكتاب المصري[19].

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام لمؤلفه لسان الدين إبن الخطيب (محمد بن عبد الله بن سعيد السليماني الغرناطي)، نشر ليفي بروفنسال الجزء الثاني منه سنة 1934م بالرباط، وهذا القسم خاص بدول الأندلس الإسلامية مع موجز لتاريخ دول أسبانيا المسيحية.

- آداب الحسبة لابن عبدون، نشره عام1934م.

– التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، وهي مذكرات لعبد الله بن بلقين بن باديس الصنهاجي آخر ملوك بني زيري بغرناطة، نشر النص العربي سنة 1955م، وجاء بإضافة مقارنة بالنص المترجم للغة الفرنسية (1935م)[20].

– في سنة 1928م نشر المستشرق ليفي بروفنسال أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين مع نبذ من مختصر كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب المعروف بالمقتبس[21].

– البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي، أعاد كل من ليفي بروفنسال وكولان نشر الجزء الأول في ليدن سنة 1948م، ونشر الجزء الثاني سنة 1951م، وفي سنة 1930م طبع الجزء الثالث بتحقيق ليفي بروفنسال تحت عنوان "تاريخ الأندلس من حين انقراض الدولة الأموية إلى آخر ملوك الطوائف"[22].

– الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت542هـ)، والكتاب أوفى مرجع لمعرفة حياة أدباء الأندلس في تلك الفترة، وشارك ليفي بروفنسال ضمن لجنة الترجمة والتأليف التي شكلتها جامعة فؤاد الأول بالقاهرة في نشر الأجزاء الثلاثة من هذا المصدر ابتداءا من سنة1939م[24].

– مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، نشر بالرباط عام 1941م، نشرها مترجمة بالفرنسية سنة 1942م[25].

هذا الإصدار لم يخف ميول صاحبه الإستشراقي، الذي أبرزه في مقدمة الكتاب الصفحة "ز"، حيث أشاد بالدور الذي قاموا به في مجال الدراسات العربية؛ فبعد شكر الشرقيين والغربيين، يذكر قائلا: "لما تفضلوا منذ سنوات من الاعتراف بسعينا المواصل لدرس المدنيّة الإسلامية في العصور الوسطى، وبجهدنا لاستكشاف بعض نواحيها المبهمة ونشر مصادرها التي أتيح لنا إخراجها من زوايا النسيان، وبقيامنا بالدفاع عن المدنيّة".

أما في الصفحة "ح" فيضيف: "فنتمنى أن يساعدنا الدهر في المستقبل، ولا يخيب أولئك الأصدقاء في مأمولهم منا، وأن لا تزال الأيام تؤهلنا لعطفهم وتشجيعهم وتحبيذهم، وتمكننا من تتبع نشاطنا العادي بحسب ميلنا إليه وعنايتنا بمختلف مظاهرات الثقافة العربية وتجديدها الحالي المعجب".

إذن المجتمعات الإسلامية لم تعرف المدنية بالقدر التي عرفته عند الغربيين، على حد تعبير صاحب المقدمة، وإن كانت هناك اعترافات فعلية فهذا يدل على أنهم أصحاب فضل على

أفراد هذه المجتمعات في إزاحة الغموض الذي انتابها، خاصة وأن هؤلاء قد قاموا بالدفاع عنها داخل مجتمعات لم تعرف الحضارة إن صح التعبير، ودفاعهم عن المدنية يعني أن المجتمع الإسلامي لم يعرف لها قيمة.

ولو ربطنا الإستشراق بالحركة الاستعمارية سنلاحظ أن النص الثاني المشار إليه ما هو إلا تأكيد على أهداف هذه الحركة وميولها، خاصة وأن الاستشراق سببه الرئيسي ديني بالدرجة الأولى، ومحاولته إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمه بإثبات فضل المستشرقين عليه، خاصة وأن ليفي بروفنسال ركز على "تتبع نشاطهم العادي بحسب ميلهم إليه" في ظل الحركة الإستشراقية وما تحمله من مكائد.

كما يشير إلى تجديد الثقافة العربية، لكن السؤال المطروح كيف سيكون هذا التجديد؟ ومن أي جانب؟ ولصالح من؟ كلها تساؤلات تحتاج إلى إجابات، خاصة لو قاربنا بين ما يحدث في العالم الإسلامي اليوم وعلاقته بالحركات المعادية للإسلام.

والنقطة الثانية والمهمة، هي تلك النجمة السداسية التي وضعها مُصْدر الكتاب في الواجهة تحت اسمه، وبهذا يكون ليفي بروفنسال من المستشرقين الذين يدسون مقدارا خاصا من السم في كتاباتهم ويحترسون في ذلك، فلا يزيد على النسبة المعينة لديهم، حتى لا يستوحش القارئ ولا يثير ذلك فيه الحذر، ولا يضعف ثقته بنزاهة المؤلف، وتبقى هذه الكتابات أشد خطرا على القارئ من تلك التي يكاشف صاحبها العداء.

هذا بالإضافة إلى فهارس المخطوطات (فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالرباط- الخزانة العام الأسكوريال)، وما نشره من نقد وتعريفات ومقالات ضمن المجلات المختلفة، كالمجلة الإفريقية، دائرة المعارف الإسلامية...

إن الجهد الذي بذله ليفي بروفنسال من أجل نشر وتحقيق المصادر التاريخية الخاصة بالمغرب الإسلامي يبدو واضحا رغم تلك النقائص، وعلى ما يبدو أنها مجموعة جليلة القدر من كتب التراث الأندلسي الأصيل، التي أمضى سنوات طويلة من عمره منكبا على دراسته نشرا وتأليفا ولا غنى للباحث في ميادين الدراسات الأندلسية عن أي منها، بما فيها الجزء المنتخب من كتاب "مفاخر البربر" الذي انفرد صاحبه بمعلومات استمدها من تحرياته الخاصة، أو من كتب ضائعة أثبت شذرات منها[26].

التعريف بكتاب مفاخر البربر ومؤلفه: إن هذا المخطوط مجموع يتكون من أجزاء مقتبسة من الكتّاب المغاربة والأندلسيين الذين يتكلمون عن الأحداث السياسية التي جرت خلال القرنين الرابع والخامس الهجري (11/10م)، إضافة إلى تراجم العديد من الملوك والعلماء ذوي الأصول البربرية، والذين كانوا إما في الأندلس أو في بلاد المغرب، كما تحدث صاحب المفاخر عن العلاقات بين زعماء قبائل زناتة وصنهاجة البربريتين من جهة، والمنصور بن أبي عامر من جهة أخرى.

حمل المخطوط في طياته اثنين وسبعين ترجمة لعلماء وفقهاء مغاربة، وخصص جزءا هاما من كتابه للتطرق إلى قضية أنساب البربر وأصولهم، وأهم القبائل البربرية، فهذا المصدر ذو أهمية كبرى لإحتوائه على مادة قيمة تتعلق بتاريخ بلاد المغرب في الفترة ما بين القرن4هـ/10م وبداية القرن 8هـ، وانفرد صاحبه بمعلومات لم يشر إليها سابقه من المؤرخين، كذكره لأسماء بعض الوزراء والكتاب البربر*.

ألّف "مفاخر البربر" سنة 712هـ/1312م، وهي الفترة التي عاش فيها المؤلف، والتي تدل على معاصرته للفترة المرينية[27]، لكن لم يعرف صاحب الكتاب وبقي مجهولا إلى غاية 2008م، ليعيد الدكتور عبد القادر بوباية البحث والتنقيب ليتوصل من خلال عمله هذا إلى إثبات هوية صاحب المؤلّف، وهو "أبو صالح بن عبد الحليم الإيلاني".

ليفي بروفنسال وتحقيق كتاب مفاخر البربر: قام ليفي بروفنسال بنشر جزء من كتاب "مفاخر البربر"، تحت عنوان "نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى"، منتخبة من المجموع المسمى بكتاب "مفاخر البربر"، لكنه لم يتبع في نشره لهذا المخطوط الأسلوب العلمي الرصين، كما ترك بعض القضايا كما وردت دون مناقشة علمية أو تصحيح.

يقع الجزء الذي نشره المستشرق الفرنسي في مائة صفحة، تضمنت المحاور التالية:

- مقدمة مؤلف مفاخر البربر "ص1،2".
- ذكر أخبار المنصور بن أبي عامر مع البربر" ص3، 37" .
- ذكر بعض أخبار زيري بن عطية المغراوي وابنه المعز" ص37، 42".
- ذكر ثوار المغرب ورؤسائه وبعض ملوكه" ص43، 60".
- ذكر الفقهاء والأعلام من البربر" ص60، 78".
- ذكر البربر بجزيرة الأندلس" ص78، 80".

- ذكر ولاة لمتونة بالأندلس" ص81، 82".

- أما الفهارس فقد احتلت بقية النشرة (19صفحة) "ص83، 101"، إذ خصص فهرسا للموضوعات، وأخر بأسماء الرجال (ص83-94)، وفهرس بأسماء الأماكن (ص94-98)، ثم فهرس خاص بأسماء القبائل والعشائر والأجناس(ص98-101).

لكن وبعد مقارنة النسخة المحققة بما نشره المستشرق الفرنسي اتضح وجود بعض الفجوات والمزالق لدى هذا الأخير، وإهماله لقواعد وتقنيات التحقيق، نذكر من ذلك:

1- المستشرق الفرنسي لم يشر إلى النسخة المعتمدة ولا إلى مكان تواجدها، وهذا ما أثبته الدكتور بوباية في تحقيقه الذي اعتمد على نسختين متوفرتين من هذا المخطوط، الأولى تحت رقم "ك1275" والثانية "د1020"، إضافة إلى نشرة ليفي بروفنسال، وحسب ما أورده المحقق أنه جعل النسخة "ك1275" هي الأصل نظرا لوضوح وسهولة القراءة واعتمدها في التحقيق، أما النسخة "د1020"، وبسبب صغر حجم حروفها وطمس الكثير من كلماتها في الصورة المنسوخة المتوفرة لديه، فإنه قد اعتمد على نشرة ليفي بروفنسال لأنها منقولة عنها ولم يعد إليها إلا في الأجزاء التي لم ينشرها هذا الأخير[28].

2- لم يورد المحقق سيرة المؤلف وعصره، لأنه من الأمور المتفق عليها في مجال التحقيق تخصيص مبحث لدراسة سيرة صاحب النص وعصره ووظيفته ومذهبه ومنهجه والتيارات السائدة في زمنه، ودواعي تأليف كتابه.

3- يضاف إلى ذلك عدم إلمام بروفنسال باللغة العربية وقواعدها الماما كاملا، ولم يكن مؤهلا لاستيعابها استعابا تاما أو إدراك مغزى بعض المصطلحات إدراكا دقيقا، على عكس اليهود الذي كانوا أكثر إلماما باللغة العربية بالمقارنة مع غيرهم من المستشرقين، وهذا ما جعله يقع في كثير من الأخطاء والمزالق، والتي أدت إلى تشويه بعض المعاني بسبب القراءة الخاطئة للألفاظ، وهذه بعض الأخطاء التي أحصيتها بعد مقارنة إحدى عشر صفحة من الكتاب الذي نشره ليفي بروفنسال وما يقابلها في كتاب "مفاخر البربر" طبعة 2008م.

ونذكر منها على سبيل المثال لا على الحصر[29] ما يلي:

- وكان أقلهم حركة فدفن بقرطبة (ص12)، وفي الكتاب المحقق: "وكان أقلهم جريرة فدفن بقرطبة" (ص114).

- أباحها على الإقتطاع (ص14)، وفي الكتاب المحقق :"وأباحهما على ما افتتحاه" (ص115).

– وأنه متى نكث بالذمة منه برئ (ص14)، وفي الكتاب المحقق: "وأنه متى نكث فالذمة منه بريئة" (116).

– يقيم عن الأزمام عن المعيشة إلى أن لها عنهم (ص20)، وفي الكتاب المحقق: "يقيم الأزمان من المعيشة إلى أن لهى عنهم (ص122).

– يسوس ضخم الملك هذا الأحدب (ص21)، وفي الكتاب المحقق: "ويسوس هذا الملك هذا الأحدب" (ص122).

– وغمض لمعروفه على جزالته واذاله لما كساه (ص22)، وفي الكتاب المحقق: "وغمض لمعروفه على جزالته وإزالة لما كساه" (ص124).

– أحمد بن بكر(ص5)، وفي الكتاب المحقق: "أحمد بن أبي بكر (ص107).

– ملتفتة بالأندلس (ص7)، وفي الكتاب المحقق: "ملتفة بالأندلسي (ص109) ويقصد به جعفر بن علي حمدون الأندلسي[30].

– وقرأ هناك على الشأمي والطرطوشي (ص70)، وفي الكتاب المحقق: "وقرأ هناك على الشاشي والطرطرشي" (ص178).

4– يتضح من خلال هذه الجمل أن صاحب "النبذ" أخطاء أحيانا في تنقيط الكلمات وتصحيح العبارات، حتى وإن كانت الأخطاء مطبعية لا دخل له فيها إلا أن منهجية التحقيق تستلزم مراجعة النص مراجعة تامة، خاصة وأن ليفي بروفنسال أشار في بداية النشرة إلى العبارة التالية: "اعتنى بنشرها وتصحيحها".

فهو لم يكلف نفسه عناء التنبيه في تعليقات ولو قصيرة أو قليلة على اختلاف بعض الكلمات أو الجمل، ولم يرجع إلى المعاجم للتأكد من بنية بعض المفردات في النص، والتي لا تحتاج إلاّ إلى إضافة نقط أو حروف أو حذفها أو تقديمها.

5–كما ينعدم في النص المنشور التعريف بمشاهير العلماء أو القياديين، أو تحديد بعض المواقع الجغرافية.

6–ومن الثغرات الأخرى التي وقع فيها ليفي بروفنسال انعدام الهوامش والتعليق على ما ورد من نصوص تاريخية، وعدم مقارنتها بمخطوط المجموع الثاني الذي كان موجودا بالخزانة الكتانية بفاس قبل أن ينقل إلى الخزانة العامة بالرباط[31].

7- ومن المسائل الملفتة للانتباه، انعدام قائمة المصادر والمراجع التي لا يخلو منها أي عمل جاد، لأنها تلقي الأضواء على القطعة المراد تحقيقها أو تصحيحها وهذا بعد المقارنة والمقابلة وتعديل ما يمكن تعديله، الأمر الذي جعل عمل ليفي بروفنسال نقصا من هذا الجانب.

8- وأخيرا، نصل إلى مسألة مهمة جدا وهي إغفال المستشرق الفرنسي لكثير من الفصول والأبواب التي تمس جوانب هامة من تاريخ البربر، أي قام بنشر جزء من المخطوط فقط، والتي أحصيناها في النقاط التالية:

- قصيدة شرف الدين البوصيري المتعلقة بمدح الشيخ الصوفي أبا مدين شعيب، والكثير من شيوخ الصوفية ببلاد المغرب، وجاء في مطلعها:

أبـا مَدْيَنَ أَورَدْتَني مَـاءً مَزينًا ... منَ الحُبّ حَتى فُزْتُ بالمَنْهَل العَذْب

وآنسْت نَارًا من جَنَابكَ للهُدَى ... بَدَتْ فَانْجَلت عَنَّـا بهَا ظُلَمُ الكَرْب

فَمثلكَ من يَدعُوهُ مثلي لكَرْبه ... فَيَنْجُو لحُسْن الظّن فيه من الكَرْب[32]

ويشير محقق كتاب مفاخر البربر إلى أنّ القصيدة تستغرق الورقات من**101** إلى **104** من المخطوط "ك **1275**"[33].

*فصل في ذكر سبق البربر وفخرهم، ذكر حدود بلاد المغرب، ذكر البربر بجزيرة الأندلس، ذكر ولاة لمتونة بالأندلس[34]، كما أهمل معلومات قيمة تخص بناء مدينة القيروان، وأخبار عقبة بن نافع على بلاد المغرب، وكذا معلومات تتعلق بأنساب البربر، والأحاديث النبوية التي تبرز فخرهم ومكانتهم العالية، وأخبار الأدارسة بعد وفاة إدريس الأكبر، وأخبار نسب بني عبد المؤمن وحكام الدولة الموحدية، والأحداث المتعلقة بالمهدي الذي بشر به الرّسول صلى الله عليه وسلم وأبرز من تلقب به.

رغم هذا يبقى مفاخر البربر نموذجا للمجهود الذي قام به المستشرقون من أجل نفض الغبار عن التراث الإسلامي، لأن هناك من كرس حياته وطاقته على دراسة العلوم الإسلامية، وبفضل جهودهم برز كثير من نوادر العلوم والمعارف التي لم تر ضوء الشمس منذ قرون، وأصبحت مصونة من الورثة الجاهلين، وكم من مصادر علمية ووثائق تاريخية لها مكانتها وقيمتها، صدرت لأول مرة بفضل جهودهم وهمتهم وقرت بها عيون العلماء في الشرق[35].

ولا يمكن تجاهل وإنكار ما قدمه هؤلاء للفكر الإسلامي، كاستيعاب المصادر وجمع المعلومات بشكل واسع، والترتيب والتنسيق في منهج البحث والتأليف والإحصاء والفهرسة،

وعنايتهم بها عناية كبيرة؛ ومن جهودهم نشر أصول العربية نشرا محررا مصححا بالمقارنة بين المخطوطات الراهنة، وقد خدم المستشرقون كذلك تراثنا الإسلامي لما نقلوا جانبا كبيرا من كتبنا إلى لغاتهم.

لكن هذا لا يمنع من وجود طائفة من المستشرقين كان دأبها البحث عن مواضع الضعف في الشريعة الإسلامية والحضارة والتاريخ الإسلامي، وإبرازها لأجل غاية سياسية أو دينية، فنرى كثيرا من المستشرقين يركزون كل جهودهم ومساعيهم على تعريف مواضع الضعف في التاريخ الإسلامي[36]، معتمدين على أسلوب الدّس الخفي وإخفاء الحقائق وإبراز الشبهات وبتر النصوص وإثارة الشكوك في كل ما يتعلق بالدراسات عن تاريخ الإسلام، ومجتمعه ومدنيته حتى في ديانته وشريعته[37].

إن المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال نفض الغبار عن تاريخ المغرب الإسلامي، مع اخفائه لمشاعره بمكر وذكاء، فهو يعد امتداد لدوزي وتلميذا له، واستمرارا لنمط تفكيره، والفكر الإستشراقي له خطورته لأنه يزيف الحقائق بطريقة محكمة، واتصاله بالتبشير اتصالا وثيقا ومستمرا.

الهوامش:

1-أحمد عبد الرحيم السايح: الإستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1996م، ص16.

2- أحمد عبد الرحيم السايح: نفس المرجع، ص14.

3-لقد كانت فرنسا من الدول الأوربية التي أنشأت مدارس لتعليم اللغات الشرقية وفي مقدمتها العربية، وفي مقدمة هذه المعاهد"الكوليج دو فرناس" الذي أسس سنة1514م، و"المدرسة الوطنية للغات الحيّة" والتي أسست لتعليم العربية والفارسية والتركية، وتعريف طلاب هذه اللغات بالعلاقات التجارية والسياسية القائمة بين فرنسا والشعوب التي تتكلم بها. عبد الكريم غلاّب: الندوة السادسة للجنة القيم الروحية والفكرية (المغرب في الدراسات الإستشراقية)، المملكة المغربية، الرباط، شوال1413هـ/ أبريل 1993م، ص21.

4-د. عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993م، ص520.

5-إ.ليفي بروفنسال: مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلاّدي، مطبوعات دار المغرب للتـأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م، ص9.

6-نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1980م، ص10. د. عبد الرحمان بدوي: مرجع سابق، ص520.

8-إ.ليفي بروفنسال: مرجع سابق، ص10.

9-نجيب العقيقي: مرجع سابق، 293.

11-محمد ماهر حمادة: المصادر العربية والمعربة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1987م، ص259.

12-نجيب العقيقي: مرجع سابق، ص293.

13-د. أحمد عبد الرحيم السايح: الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1996م، ص52.

14- د. أحمد عبد الرحيم السايح: نفسه، صص 33-34. عبد الرحمان بدوي: مرجع سابق، ص521.

15-د.محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، د/ط، د/ت، ص61.

16- د.محمود حمدى زقزوق: نفسه، صص 63-64.

17-عبد القادر بوباية: المستشرقون وكتابة التاريخ الإسلامي "أ. ليفي بروفنسال نموذجا"، مجلة عصور، جامعة وهران، العدد الثاني، السنة الأولى 1423هـ/ ديسمبر2002م، ص39.

18-محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1983م، ص77.اصبح الهامش18

19-محمد المنوني، مرجع سابق، ص78.

20-نفسه، ص42. هامش19

21-نفسه، ص92.

22-نفسه، ص31، عبد القادر بوباية: مرجع سابق، ص90.

23-ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999م، صص 63،64.

24-محمد المنوني: مرجع سابق، ص66.

*-أنظر مقدمة محقق مفاخر البربر وما بعدها.

25-نجيب العقيقي: مرجع سابق، ص293.

26- الإيلاني (أبو علي صالح): مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2008م، ص46.

27-محمد المنوني: مرجع سابق، ص68.

28- الإيلاني (أبو علي صالح): مصدر سابق، صص29-30.

29-الإيلاني: نفسه، ص20.

30-نفسه، ص190.

31-عبد القادر بوباية: مرجع سابق، ص96.

32-الإيلاني: مصدر سابق، ص193.

33-عبد القادر بوباية: مرجع سابق، ص96.

34-عبد القادر بوباية: مرجع سابق، ص96.

35-الإيلاني: مصدر سابق، هامش3، ص193.

36-أبو الحسن علي الحسني الندوي: الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1986م، ص13.

37- أبو الحسن علي الحسني الندوي: نفسه، ص15.